عناصر المحاضرة : [تعريف الخطبة (لغة، اصطلاحا)– مكانتها – أنواع الخطب الجاهلية – خصائص الخطابة الجاهلية]

تمهيد :

إذا كان الشعر في الجاهلية له القدح المعلى، لأنه كان يدافع عن حمى القبيلة ويفخر بأمجادها، ويتغنَّى ببطولاتها، فإنه قبيل مجئ الإسلام تخلَّى عن مكانته لصالح الخطابة، التي كانت قبل هذا تعدُّ الفن النثري الأبرز الذي يضارعه، وقد كان للخطابة دواع كثيرة اقتضتها، ولحاجة العرب إليها في حياتهم الاجتماعية والثقافية والأدبية، وهي من الفنون التي لم يأفل نجمها إلى وقتنا هذا، مما سبق نتساءل عن مفهومها ؟ ومكانتها عند العرب؟ ودواعي ظهورها؟ وأنواعها ؟ وخصائصها الفنية؟

تعريف الخطبة:

لغة:

. « [خطب] وخطب الرجل خطابة فَهو خطيب بين الخطابة، واسم الْكَلَام: الْخطْبَة » [1]

. « [خطب] الخطب: سبب الأمر، تقول: ما خطْبُكَ، وخطبت على المنبر خطْبَةً بالضم، وخاطبه بالكلام مُخاطَبَةً وخطابًا، وخَطَبْتُ المرأة خطْبَةً بالكسر، واختطب أيضاً فيهما، والخطيبُ: الخاطبُ، والخطّيبي: الخطْبَةُ » [2]

. « خطب: الخَطْب: الشَّأْنُ أَو الأَمْر، صغُر أَو عظُم؛ وقيل: هو سبب الأَمر، يقالُ: مَا خَطْبُكَ؟ أَي ما أَمرُكَ؟ وتَقولُ: هذَا خطْب جليل، وخطْب يسير، والخطْب: الأَمر الَّذيَ تَقَع فيه المخاطَبة، والشأْنُ والحالُ؛ ومِنْهُ قَوْلُهُمْ: جلَّ الخَطْب أَي عظُم الأَمر والشأْن » [3]

مما سبق يتبين أنَّ دلالة الخطبة لغويا تعني مع مفردات الشأن والأمر والخطب، التحدُّث بكلام ما.

اصطلاحا:

عُرفت الخطبة بأنها : « فن مخاطبة الجمهور، الذي يعتمد على الإقناع، والاستمالة، أو هي كلام بليغ، يلقى في جمع من النَاس لإقناعهم بما فيه الخير لهم في دنياهم وآخرتهم » [4]

---

[1] – أبو بكر مُحَمَّد بن الحسن بن دريد الأزدي، جمهرة اللغة، ج01، تح: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين ، بيروت، لبنان، ط01، 1987، ص 291. مادة [خطَب].

[2] – الجوهري ، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج01، مصدر سبق ذكره، ص121. مادة [خطَب].

[3] – ابن منظور، لسان العرب، ج01، مصدر سبق ذكره، ص360. مادة [خطَب].

[4] – مُحَمَّد عبد المنعم خفاجي، الحياة الادبية في العصر الجاهلي، مرجع سبق ذكره، ص 157، 158.

وعرَّفها بعضهم بأنها: « فن من فنون الأدب النثري، مختص بكلام يلقى إلقاء، أمام جمهور مستمع، ويهدف إلى توضيح أمرٍ أو قضية هما مثار جدل، لإفهام هذا الجمهور، وتوجيهه واستمالته، بإثارة عواطفه، لاتخاذ موقف ما » [1]

مكانتها :

المتأمل في الحياة الأدبية في العصر الجاهلي يدرك أنَّ الخطابة لم يصلها شأوها أي فني قولي آخر – عدا الشعر – في مراحل تطوره وازدهاره، ثم تقهقر مفسحا المجال للخطابة كي تحتل صدراة المشهد الأدبي في ذلك العصر، يقول أبو عمرو بن العلاء مقررا هذه الفكرة : « كان الشاعر في الجاهلية يقدم على الخطيب، لفرط حاجتهم إلى الشعر الذي يقيد عليهم مآثرهم ويفخم شأنهم، ويهول على عدوهم ومن غزاهم، ويهيب من فرسانهم ويخوف من كثرة عددهم، ويهابهم شاعر غيرهم فيراقب شاعرهم. فلما كثر الشعر والشعراء، واتخذوا الشعر مكسبة ورحلوا إلى السوقة، وتسرعوا إلى أعراض الناس، صار الخطيب عندهم فوق الشاعر » [2]، ويؤكد الجاحظ الرأي السابق لأبي عمرو بن العلاء بقوله: « وكان الشاعر أرفع قدرا من الخطيب، وهم إليه أحوج، لرده مآثرهم عليهم وتذكيرهم بأيامهم، فلما كثر الشعراء وكثر الشعر صار الخطيب أعظم قدرا من الشاعر » [3]

من القولين السابقين نرى أن الخطابة قد فاقت الشعر مكانة وأهمية عند العرب، لما حاد الأخير عن وظيفته المنوطة به، فاتُخذ مكسبةً، وارتحل الشعراء به إلى السوقة من الناس، وتناولوا أعراض الناس.

يقول الزيات واصفا لها : « هي مظهر من مظاهر الحرية والفروسية، وسبيل من سبل التأثير والإقناع، تحتاج إلى ذلاقة اللسان، ونصاعة البيان، وأناقة اللهجة، وطلاقة البديهة » [4]

دواعي الخطبة :

لاشك أن للخطبة أسباب اقتضتها ودواعٍ حرَّكت العرب للإجادة فيها، نذكر منها:

1/ تأصل ملكة البيان فيهم، وقدرتهم على التصرُّف في أنواع الكلام، جعلهم يتنافسون في ميدان الخطابة تنافسهم في مضمار الشعر.

2/ الفخر بالأحساب والأنساب، والذود عن شرف القبيلة.

3/ التحريض على القتال، وتحريك الهمم وتهييج المشاعر للقيام بواجب العصبية القبلية.

4/ نصرة الضعيف، وإغاثة الملهوف، ورد الحقوق، وحفظ الجوار.

5/ إصلاح ذات البين بين المتخاصمين.

6/ السفارة بين القبائل وأحيائها، وبين الملوك وعمَّالهم.

7/ انتشار الأسواق، والنوادي، التي تستقطب الخطباء كما الشعراء، خاصة سوق عكاظ.

---

[1] – أنطوال القوال، فن الخطابة، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط01، 1996، ص11.

[2] – أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، ج01، مصدر سبق ذكره، ص 241.

[3] – المصدر نفسه، ج04، ص 83.

[4] – أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، مرجع سبق ذكره، ص 19.

8/ شيوع الأمية بينهم، وتباعدهم في الديار، جعل من الخطبة بديلا شفويا يقوم مقام الكتابة والرسائل.

9/ حرية القول والشجاعة في إبداء الرأي.

من أشهر خطباء العرب: قَسٌّ بن ساعدة الأيادي، عمرو بن كلثوم التغلبي، أكثم بن صيفي التميمي، الحارث بن عباد البكري، وعامر بن الضَّرب العدواني، قيس بن زهير العبسي، عمرو بن معد يكرب الزُّبيدي...

أنواع الخطب الجاهلية :

المتأمل لبنية الخطب في العصر الجاهلي يرى أنها جاءت موزَّعة على حسب دواع قَبلية اقتضتها، ويمكن إرجاعها إلى الأنواع الآتية:

1/ **خطب المنافرة** [1] : المنافرة كما المفاخرة، هي« أَن يَفْتخر الرَّجُلان كُلّ وَاحد منْهُمَا على صَاحبه، ثمَّ يحكّمان بَينهمَا رجلا » [2] وهي في العادة تكون في حشد من الناس، يتباهى فيها الطرفان بمكارَم الأَخلاق، وعلو المنزلة، وشرَف النسب، وقد روت لنا كتب الأدب كثيرا من المنافرات، منها : منافرة علقمة بن عُلاثة لعامر بن الطُّفَيل وتحاكمهما إلَى هرِم بن قُطْبة الفَزاري، وشاهد هذا الخطبة، ما رواه الْمدَائِني « أَن قُرَيْشًا وثقيفاً اختصموا فِي أَرض، فَجعلت ثَقيف أمرها إِلَى كدام أَو كلدة، وقام لقريش عبد الْمطلب، فَقَالَ الثَّقَفِي لعبد الْمطلب: أَنافرك فأيُّنا نفر فالْمال لأَصحابه، وَتراضوا بسطَيح، فخرجوا وخبأوا لَه عين جرادة، فِي خرزة مزادة، فَساروا سبعا، فَلَمَّا أَتَوه قَالَ: لقد سرتُمْ سيراً بلغ زعزعة، ووضع حَتَّى تدليتم النَّقْع فِي آخر السَّبع، قَالُوا: صدقت. قَالَ: إِن شئْتُم أَخْبرتكُم قَالُوا: قد شئْنَا، قَالَ: طَار فسطع، فصاح فضبح، وامتلأ فنضح، قَالُوا: زه، زه، زه. فَقَالَ الثَّقَفِي: احكم لأشدنا ضرابا، وأكثرنا أعتابا، وأفضلنا وطابا. فَقَالَ عبد الْمطلب: أحكم لأكرمنا فعالاً، وأكثرنا ضيفانا، وأعظمنا جفاناً، قَالَ سطيح: والسَّماء والْأَرض، وما بينهما من جدد ودحض، لعبد الْمطلب أولى بكُل خفض ورفع، وضر ونفع » [3] الملاحظ في الشاهد السابق أن المتنافرين ارتضيا أحدا يحكم بينهما، وحكمه في الغالَب يكون من جنس قولهما، وهي الخطبة، ويشترط فيه أن يكون حكيما شريفا، يؤتى إليه في المشورات والمنازعات، ويمكن أن يكون كاهنا، كما في الشاهد السابق (سطيح الذئبي).

2/ **خطب الحرب** : المتأمل لحالة العرب، يدرك أنها قائمة على الصراع والتنافس والتقاتل الدائم على الحمى والمراعي والسيادة والشرف، وفي بعض الأحيان على أمور تافهة، لا تستحق إراقة الدماء فما بالك بحروب تشتعل نارها سنوات طوال، تزهق فيه الأرواح، وتقطع فيه الأرحام كما حدث في حرب البسوس وداحس والغبراء، وفي الحرب يغلب صوت الحماسة، صوت الحكمة، ويطغى الغضب على الحلم، فيتبارى الشعراء والخطباء في إيراء نيران الفتنة بين القبائل، وقد كثرت خطب الحروب في العصر الجاهلي، بما يقطع أن العرب ما كانت لتقبل الضيم ولا تحني رقابها وتسلم قيادها لغيرها، وفيما يأتي خطبة هانئ بن قبيصة الشيباني، يحرض قومه بني وائل، ويدعوهم للقتال يوم ذي قار : « يا معشر بكر،

---

[1] – أصل المنافرة قولهم : أيُّنا أعزُّ نفرا.

[2] – أبو منصور مُحَمَّد بن أحمد بن الأزهري، تهذيب اللغة، ج15، مصدر سبق ذكره، ص 151.

[3] – منصور بن الحسين الرازي، نثر الدر في المحاضرات، ج06، مصدر سبق ذكره، ص216.

هالك معذور، خير من ناجٍ فرور، إن الحذر لا ينجى من القدر، وإن الصبر من أسباب الظفر، المنية ولا الدنية، استقبال الموت خير من استدباره، الطعن في ثغر النحور، أكرم منه في الأعجاز والظهور، يا آل بكر قاتلوا فما للمنايا بدٌّ » [1] .

3/ خطب إصلاح ذات البين :

عندما تدبُّ الحماسة والفخر في قلوب العرب، يدفعهم هذا إلى المنافرة، والمنافرة بريد المشاجرة، ثم يمكن أن تتطور الأمور إلى الحروب أحيانا، فيظهر حينئذ صوت العقل والإصلاح حكما، فـ « فيقمع مظاهر العنف، ويطفئ جذوة العجرفية، ويبين للمتنافرين، أن الصلح أحجى، وينهض بالأمر أصحاب الحكمة الرزان، فينصحون للفريقين بالموادعة، ويزجرونهما عن المهاترة، ويدعونهما إلى جمع الشمل، ورتق الخرق قبل استفحال العداوة » [2] ، من تلك الخطب ما قاله مرثد الخير بن ينكف مصلحا بين ميثم بن مثوب بن ذي رعين وبين سبيع بن الحارث، وقد تنازعا الشرف واختلفا، حتى خيف أن يقع بين حييهما شرٌّ، فبعث إليهما مرثد، وقال لهما: « إن التخبط وامتطاء الهجاج [3]، واستحقاب [4] اللجاج، سيقفكما على شفا هوة، في توردها [5] بوار الأصيلة، وانقطاع الوسيلة، فتلافيا أمركما قبل انتكاث [6] العهد، وانحلال العقد، وتشتت الألفة، وتباين السهمة [7] ... ، فقد عرفتم أنباء من كان قبلكم من العرب من عصى النصيح، وخالف الرشيد، وأصغى إلى التقاطع، ورأيتم ما آلت إليه عواقب سوء سعيهم، وكيف كان صيور أمورهم، فتلافوا القرحة [8] قبل: تفاقم الثأى [9]، واستفحال الداء، وإعواز الدواء، فإنه إذا سفكت الدماء استحكمت الشحناء، وإذا استحكمت الشحناء تقضبت [10] عرى الإبقاء وشمل البلاء » [11]

4/ خطب الوعظ: لاشك أن العرب في الجاهلية كان الغالب عليهم، هو الاشتغال بمتطلبات الحياة اليومية من رعيٍ وبحث عن مضارب العشب والماء في السلم، والغزو والدفاع عن الحمى في الحرب، إلا أن منهم من أعمل عقله، فأرسل بصره متأملا في الكون والحياة، مستخبرا عن أسرار الخلق وأحوال الناس، وربما وصل بتفكيره، أو بما قرأه من كتب الأولين، إلى إدراك حقائق غائبة، فيدعوا قومه إليها واعظا وناصحا لهم، بجمل قصيرة مفككة، يدور أغلبها حول قضايا الحياة والموت والبعث والمعاناة من الضياع والتيه، وقد اشتهر من خطباء الوعظ المأمون الحارثي؛ الذي خطب في قومه

---

[1] – المصدر السابق، ج01، ص 169.

[2] – غازي طليمات وعرفان الأشقر، الأدب الجاهلي(قضاياه، أغراضه، أعلامه، فنونه)، مرجع سبق ذكره، ص 546.

[3] – الهجاج : ركوب الرجل رأس في الشر خاصة.

[4] – استحقاب : استفعال من الحقيبة؛ وهي ما يجعل الرجل يفها متاعه، أو من الحقاب، وهي : وهوخيط تشد به المرأة وسطها.

[5] – التورد: الإشراف على الماء وغيره، دخله أو لم يدخل.

[6] – الانتكاث : انتقاض، والأنكاث جمع نكث، وهو ما نقض من الحبال ليعاد ثانية.

[7] – السهمة: القرابة.

[8] – القرحة: الجرح.

[9] – تفاقم الثأى: الإفساد والجراح والقتل ونحوه.

[10] – تقضبت: تقطعت.

[11] – أبو علي القالي، الأمالي، ج01، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط02، 1926، ص92.

يوما، بعدما نظر في السماء والنجوم طويلا، ثم قال: « أرعوني أسماعكم، وأصغوا إلَى قلوبهم، يبلغ الوعظ منكم حيث أريد، طمح [1] بالأهواء الأشر [2]، وران [3] علَى قلوب الكدر، وطخطخ [4] الجهل النَظر، إن فيما نرى لمعتبراً لمن اعتبر، أرض أرض موضوعة، وسماء مرفوعة، وشمس تطلع وتغرب، ونجوم تسري فتعزب، وقمر تطلعه النحور، وتمحقه أدبار الشهور، ... وراحلون لا يؤوبون، وموقوفون لا يفرطون [5]، ومطر يرسل بقدر، فيحيي البشر، ويورق الشجر، ويطلع الثمر، وينبت الزهر، وماء يتفجر من الصخر الأير، فيصدع المدر عن أفنان الخضر، فيحيي الأنام، ويشبع السوام، وينمي الأنعام، إن في ذلك لأوضح الدلائل علَى المدبر المقدر، البارئ المصور.

يأيها العقول النافرة، والقلوب النائرة [6]، أنى تؤفكون، وعن أي سبيل تعمهون، وفي أي حيرة تهيمون، وإلى أي غاية توفضون [7]، لو كشفت الأغطية عن القلوب، وتجلت الغشاوة عن العيون، لصرح الشك عن اليقين، وأفاق من نشوة الجهالة، من استولت عليه الضلالة » [8] ولعل خطبة قُس الشهيرة بسوق عكاظ، أشهر من هذه ، وهي تدخل في الإطار الإطار نفسه من الوعظ والنصح والإرشاد.

5/ **خطب الزواج والإملاك** : هذا النوع من الخطب، الذي ظهر في الجاهلية، يدلُّ على ذوق حضاري رفيع كان يتمتع به العرب، وشكل من أشكال إعلان الزواج الحقيقي الخالي من أدران الأنكحة الفاسدة المنتشرة آنذاك مثل نكاح الاستبضاع وذوات الرايات، وصورته أن يأتي خطيب إلى أهل المخطوبة، فيتكلم عن مناقب الخاطب، حتى يظفر بالقبول منها ومن أهلها، ربما كان الخطيب هو عين الخاطب، ومن أشهر الخطب المشهورة خُطْبة أبي طالب في خطْبة أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها للنبي ﷺ، والتي قال فيها : « الْحمد لله الَّذي جعلنا من ذُرِّيَّة إبراهيم، وزرع إسْماعيل، وجعل لنا بلَدا حراما، وبيتاً محجوجاً، وجعلنا الْحُكام علَى النَّاس، ثمَّ إن مُحَمَّد بن عبد الله ابن أَخي من لَا يوازن به فَتى من قُريش إلَّا رجح به برا وفضلاً، وكرما وعقلاً، ومجداً ونيلاً، وإن كَانَ في المال قلَّ، فَإِنَّمَا المال ظل زائل، وعارية مسترجعة، وله في خديجة بنت خويلد رغبةٌ، ولها فيه مثل ذَلك. وما أَحببتم من الصداق فعَلَيَّ » [9] وفي المقابل يتكلم خطيب أهل المَخطوبَة أو قبيلتها، ذاكراً هو أيضا فضَائل المخطوبة وشرفها، معلنا قبولهم، أو رفضهم بلباقة وحسن خلق، من مثل ما ردَّ به عامر بن الظرب العدواني علَى خاطب ابنته (عمرة)، صعصعة بن معاوية : « يا صعصعة إنك جئت تشتري مني كَبدي وأرحم ولدي عندي منعتك أو بعتك، النكاح خير من الأيْمة، والحسيب كفء الحسيب، والزوج الصالح يعد أبا، وَقد أنكحتك خشية

---

[1] – طمح: ارتفع وعلا.

[2] – الأشر: الفرح والمرح.

[3] – غلب.

[4] – طخطخ : أظلم.

[5] – يفرطون: يقدّمون.

[6] – النائرة: النافرَة.

[7] – توفضون: تسرعون.

[8] – أبو علي القالي، الأمالي، ج01، مصدر سبق ذكره، ص 273.

[9] – أبو العباس مُحَمَّد بن يزيد المبرد ، الكامل في اللغة والأدب، ج04، تح: مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي القاهرة، مصر، ط03، 1997، ص04.

أن لا أجد مثلك، ثم أقبل على قومه فقال: يا معشر عدْوان أخرجت من بين أظهركم كريمَتكم على غير رغْبة عنكم، ولكن من خطَّ له شيء جاءه، رب زارع لنفسه حاصد سواه » [1].

6/ خطب التعزية والتهنئة : الحياة بما فيها من أحوال، يمكن أن تحزن بالنكبات والمصائب، ويمكن أن تفرح بالمسرَّات والعطايا، ولهذا كان الجاهليون في معاملاتهم اليومية مع غيرهم، يعزون بما يحزن، ويهنؤون بما يفرح، فكثرت لذلك خطبهم وأقوالهم في كلا الحالتين، فكانوا إذا عزوا أحدهم هونوا من شأن الدنيا واستصغروها في عين المعزَّى، وذكروا ووعظوا الحاضرين وحثُّوا على الالتزام بالفضائل، ومما يؤثر في هذا الصدد، ما عزَّى به أكثم بن صيفي عمرو بن هند ملك الحيرة، حين قضى أخوه، فقال: « أيها الملك، إن أهل هذه الدار سفر لا يحلون عقد الرحال إلا في غيرها، وقد أتاك ما ليس بمردود عنك، وارتحل عنك ما ليس براجع إليك، وأقام معك من سيظعن عنك ويدعك؛ واعلم أنّ الدنيا ثلاثة أيام: فأمس عظة وشاهد عدل، فجعك بنفسه، وأبقى لك وعليك حكمته، واليوم: غنيمة وصديق، أتاك ولم تأته، طالت عليك غيبته، وستسرع عنك رحلته، وغد: لا تدري من أهله، وسيأتيك إن وجدك! فما أحسن الشكر للمنعم، والتسليم للقادر! وقد مضت لنا أصول نحن فروعها، فما بقاء الفروع بعد أصولها؟ واعلم أن أعظم من المصيبة سوء الخلف منها، وخير من الخير معطيه، وشر من الشر فاعله » [2] وفي مقابل التعزية كانت التهنئة إظهار للفرح والسرور، فيذكرون المهنَّأ بفضل الله عليه، دعوة لشكر نعمه وعدم الغرور والبطر بما أُعطي، لأن النعم تَقيَّد بالشكر، وشاهد هذه الخطبة، ما هنَّأ به عبد المطلب بن هاشم سيف بن ذي يزن باسترداد ملكه من الحبشة، فقال: « إن الله تعالى –أيها الملك– أحلك محلًا رفيعا، صعبا منيعا، باذخا شامخا، وأنبتك منبتا طابت أرومته [3]، وعزت جرثومته [4]، وثبت أصله، وبسق [5] فرعه، في أكرم أكرم معدن، وأطيب موطن، فأنت –أبيت اللعن– رأس العرب وربيعها الذي به تخصب، وملكها الذي به تنقاد، وعمودها الذي عليه العماد، ومعقلها الذي إليه يلجأ العباد، سلفك خير سلف، وأنت لنا بعدهم خير خلف، ولن يهلك من أنت خلفه، ولن يخمل من أنت سلفه، نحن أيها الملك أهل حرم الله وذمته، وسدنة بيته، أشخصنا إليك الذي أبهجك بكشف الكرب الذي فدحنا، فنحن وفد التهنئة، لا وفد المرزئة » [6]

خصائص الخطابة الجاهلية :

إن الملاحظ للبنية الشكلية لجميع الخطب التي مرت بنا، يدرك أنّها تشترك في طائفة من الخصائص والسمات، التي تميز الخطابة الجاهلية عن غيرها من الخطب، التي جاءت بعدها، ويمكن إجمالها في ما يأتي:

1/ **القصر**: حيث إننا إذا قسنا، ما وصلنا من خطب جاهلية، مع خطب لاحقة (صدر الإسلام والأموي مثلا)، فإننا

---

[1] – أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، ج02، مصدر سبق ذكره، ص77.

[2] – ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج03، مصدر سبق ذكره، ص 260.

[3] – الأرومة: بالضم والفتح : الأصل.

[4] – الجرثومة: هي الأصل كذلك.

[5] – بسق : علا وطال.

[6] – أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، ج01، المكتبة العلمية ، بيروت، لبنان، ط01، 1923، ص 77.

سنجد الفرق واضحا بينهما، وهذا دليل على خصوصية الخطبة الجاهلية، وبعدَ ما وصلنا عن الانتحال، حيث « أن الحفظة نقلوا ما بقي في الذهن، ولم يتزيدوا، ولو أرادوا الانتحال لأطالوا »[1].

2/ **غياب المنهج** : لاتوجد في الخطب الجاهلية منهجية واضحة يسير عليها الخطباء، بل كانت تأتي متنوعة في صياغتها، فمن الخطباء من كان يهجم على غرضه المقصود دون التقديم بتمهيد، ولا تلخيص رأيه بخاتمة، ومنهم من تأتي خطبه على شكل أمثال وحكم متوالية، ومنهم من يقدم بين يدي خطبته بالعبارة المألوفة (أمَّا بعد) وهكذا...

3/ **قصر الجمل** : اشتغل الخطباء الجاهليون على خطبهم، فظهر ذلك جليا في إيقاع كلامهم، من حيث تقسيمات الجمل القصيرة والمسجوعة المتوالية، والتي تعدُّ كل واحدة منها فكرة مستقلة عن الأخرى، وإن كانت كلها تتظافر، كي ترسم ملامح رؤية كلية يريد الخطيب إيصالها.

4/ **الصنعة** : فلا يكاد يخلو كلامهم من زخرف لفظي؛ من سجع وازدواج وتوازن، والتي تأتي في الغالب عفوا على مقتصى البديهة والسليقة التي فُطروا عليها، فلا تكلف ولا غلو فيها، فـ« ليست هناك معاناة ولا مكابدة، ولا إجالة فكر ولا استعانة »[2] كما يقول الجاحظ.

5/ **بساطة الأفكار**: حيث يظهر فيها، أنها تحتوي على أفكار واضحة، تفتقر إلى الفكر العميق، فهي في أغلبها تسجيل لتجارب سابقة عاشها الخطيب وملاحظات اكتسبها من خلال تأمله لأحوال الناس، أو مشاهدات مرآوية للبيئة، التي يعيش فيها.

6/ **مخاطبة العقل تارة والعاطفة تارة أخرى**: ففي الأولى: كان يعمد إلى التفصيل والتعليل، وسرد الحجج والبراهين، وإبراز الشواهد والأدلة، وفي الثانية : كان الخطيب يحرك المشاعر، ويهيج الوجدان؛ باعتماد السجع الموسيقي، وتطعيم خطبته بالتشبيه والاستعارة، التي لها وقع شديدٌ وتأثير على نفس المستمع.

7/ **الاستشهاد بالشعر**: لأهمية الشعر في حياة العرب، كان له حضور عندهم، فقد كانوا يضمنونه بين ثنايه خطبهم، أو يختمونها به.

---

[1] – غازي طليمات وعرفان الأشقر، الأدب الجاهلي(قضاياه، أغراضه، أعلامه، فنونه)، مرجع سبق ذكره، ص548.

[2] – أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، ج03، مصدر سبق ذكره، ص28.